إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا.. وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

أنـا عَـنـكِ مَـا أخـبَـرتـُهُمْ.. لـكـنَّـهُـمْ
لـَمَـحُـوكِ تـَغـتـَسِـلِـيْـنَ فـي أحـداقـي

أنـا عَـنـكِ مَـا كَـلَّـمْـتـُهُـمْ.. لـكـنَّـهُـمْ
قـَرَأوكِ فـي حِـبْـري وفـي أوراقـي

لـِلـحُـبِّ رائِـحَـةٌ... وَلَيسَ بِـوسْـعِـها
أن لا تـَـفـُـوْحَ مَـزَارِعُ الـدَرَّاق

نـزار قبّاني
كتاب الحُـبّ

الحُبُّ الأوَّلُ لا يَموتُ من نفسِهِ..
ولكن يأتي الحُبُّ الحَقيقيُّ بَعدَه ليَدفِنَـهُ حيًّا.

محمود درويش

الوَجبَةُ الطَّرَبيَّةُ المنتظَرَة لمْ تخرُجْ بَعدُ منَ المَطبَخ.

والفنّان مايز البيَّاع لا زالَ متواريًا وَرَاءَ كواليسِ الشَّوْق واللّهفة. كانَ الجَميعُ يعشَقُ أغانيَه التي ملأتِ الدُّنيا وشَغلَتِ النّاس رَدَحًا منَ العُمر. ولِحين إطلالةِ أميرِ الحَفلةِ كانَ النّاسُ يتناولونَ مُقبِّلاتٍ من الموسيقى.. عرَبيَّةً كانت أو غَرْبيَّة.. تَتَهادَى على رَقصِ نوتاتِها الأجسَادُ وَتَسْكر. والطَّرَبُ الحَقِيقيُّ ينفذُ إلى الأعماق بعدَ أن يشمَلَ الجسَدُ أوَّلاً بقَطرَاتٍ من رُحاقِهِ الصَّافيَة.

قامَتِ الشَّبيبَةُ إلى حَلبَةِ الرَّقص في ذلِكَ المَربَعِ اللَّيليّ White fun club في جونيه. وطاولةٌ بكاملِها مَقصورَةٌ على رياضيِّي (مَرفأ الضْبَيِّه)، وقد راحَ نصفُهُم يُثمِلونَ الأجساد، والأجسادُ كؤُوسٌ تتَقارَعُ، بالتَّهريجاتِ الحُرَّةِ بَعيدًا عن التَّوقيعاتِ الرِّيَاضيَّةِ المُنتظمَةِ المُرهِقة. كانت إيميه تراقصُ غيث. ولكلٍّ أسلوبُهُ في التَّعبير بلغَتِهِ وبيانِهِ الذي يناسِبُ شكلَهُ ومزاجَه. خَطوَة.. حَرَكة واحدَة أو حَرَكَتان مُبتَكرَتَان تفيان بالغَرَض. ورَقَصاتُ الكَيْفِ غيرُ رَقصِ الصَّالونات! إيميه موهوبَة، وتمزُجُ في خَطَواتِها الجيرك

بالرُّوك أند روك، وهي فيَّاضةٌ متدفِّقَةٌ بالجاذبيَّة، وفاتِنَةٌ في دَلَعَاتِ كتِفَيْها المُغويَة. وغيث هادئ ولكنَّه ظريف في ترَنُّحاتِه. وعلى مَسَافةٍ منهُما كانَ ابنُ الوزير يُراقِصُ فتاتَه وعَيناهُ صَقرانِ يُحوِّمانَ حَولَ إيميه جَبُّور. تلاقَتِ العُيونُ الأربَعَة وتصادَمَ الوَجهان: هي وهو! غَمَزَها مُتَحَرِّيًا جَدِّيَتَها في دَعوتِهِ له بنَظرَتِها الأولى. فإذا هي تَرُدُّ بابتِسامةٍ.. وابتِسامَة "مَلغومَة"! ثمَّ غمزَها ثانيةً وابتسَمَت له أيضًا، وثالثةً وابتسَمَتْ له، وهي تَفورُ أمامَ غيث كالفَرَاشِ حَولَ الزَّهرَة. قد تكون هذه الابتساماتُ الثّلاثُ فَتحًا عَظيمًا بالنِّسبَةِ إليه! وهو الزَّاحفُ منذ شُهورٍ طائفًا في جزائِرِها الخرافيَّةِ باحثًا عن الكنز. وأدارَ مُهندسُ الموسيقى إيقاعًا هادئًا Slow وأُسْدِلَتْ سِتارَةُ الأنوار العالية.. ما خلا بعض الأضواءِ الملوَّنةِ والخافتة جدًّا.. إفساحًا في المَجال لسِحرِ الكيمياءِ الرُّومنسيَّة تذيبُ الفواصِلَ والحواجِزَ بينَ الثُنائيَّات.. كلِماتٍ كانت أو همَساتٍ أو قبُلات. وتهادَتْ أغنيَةُ جو داسّان الشَّهيرَة (Le Chateau de sable) كهَوَاءٍ عَليلٍ في فَضاءِ الشَّوْق، كدَفَقاتِ لذَّةٍ تغزو شَواطئَ الوَجُوهِ والقلوب. قال غيث لإيميه مُمازحًا:

– في الموسيقى السَّريعَة رَقصْتِ الرُّوك أند رول.. أتُراكِ ترقُصين التّانغو على الإيقاعِ الهادئَ؟

– مَعَكَ.. أستطيعُ أن أتقِنَ كلَّ أنواعِ الرَّقص.

قالتها وهي تُزيحُ خُصلَ شَعرِها الرَّاقصِ هو الآخر في حَلبَةِ وَجْهِها الأشقر العَرْقان. سألَتهُ وصَوتُها يرتجِفُ منَ التّعَب:

– هل يوجَد معكَ كلينكس؟

– بلى.

– أنا سأسحَبُها من جَيبِكِ. هنا أو هنا؟

– هنا. أجابَها.

ثمَّ مَدَّتْ يدَها إلى جَيْبِهِ وراحَتْ تعبَثُ برؤوسِ أناملِها في قَعرِ جَيبِ سِروالِه بطريقةٍ مُثيرَة، وهي تنظرُ في عَينَيهِ نظراتٍ تنبضُ بالتَشَهِّي. سَألَها:

– ما بكِ؟ هل أنتِ على ما يُرام؟

– أنا في أحسَنِ حالاتي.

ثمَّ أخرَجَتِ الكلينيكس ووَضَعتْها في يَدِهِ.. وقالت له وهي تُرسِلُ إلى بَريدِ عَينَيْهِ دَعوَةً إلى العَبَث:

– إمسَحْ لي وَجهي وجَبيني وعُنُقِي.

فقرَّبَ شَفَتَيهِ من أذُنِها وهمَسَ:

– يا شَقيَّة! تستَحِقِّينَ "شَمْطَةَ" أذُن.

وَعَضَّ على شَحْمَةِ أذُنِها اليُسْرَى بلُطفٍ وداعَبَها بلِسَانِه.. ثمَّ مسَحَ بالكلينكس أسفلَ عُنُقِها.

فقالت له في أداءٍ تَمثيليٍّ بارع وهي مُغمَضَةُ العَيْنَين:

– آي.. أنتَ تؤلمُني كثيرًا! ترَفَّقْ بي أرجوك!

فقالَ لها، وهو لا يَدري بأنَّه يَتفوَّهُ بنبُوْءَةٍ صادقة.. ولَعنَةٍ حَقيقيَّة سوفَ تَحُلُّ على المِسكينَةِ إيميه ذاتَ يوم:

– هذه لا شَيء.. سوفَ أؤلِمُكِ كثيرًا فيما بَعد.. والأيّامُ آتية.

ومَرَّت حوالي ثلث ساعةٍ على الأنغامِ الأثيريَّةِ السَّاحِرَة.. ثمَّ توقّفَتْ.. فعادَ الثُنائيَّاتُ كلاًّ إلى مكانِه. ولا زالَ الجَميعُ ينتظرون صاحبَ الصَّوتِ العاطفيّ الرَّخيم مايز البيَّاع.. وأطلَّ مايز البيَّاع أخيرًا.. كأنَّهُ نغمَةٌ بَينَ نغماتِ إحدى أغانيهِ العَذبَة! بحُلَّةٍ رومنسيَّةٍ أنيقةٍ وبابيّون بنفسجيِّ اللّون وخاتمٍ في خِنصَرِهِ يُرَى بوضوحٍ وهو يَحمِلُ الميكرو أثناءَ غنائِه. حَيَّا السَّاهرين عندَ نهايةِ أغنِيَتِه الأولى، وصفَّقَ لهُ الجميع. ثمَّ شرَعَ بعدَها يُطربُ الحُضورَ بفنِّهِ المُمَيَّز. غنَّى ثلاثَ أغنياتٍ من ألبومِه الأخير، ولكنَّ التَّجاوبَ المُذهل.. بلِ الانتِفاضَة! عندَما أنشَدَ (عَسَل.. عَسَل.. يا سَلام عالحُبّ)! فقامَ الشَّبَابُ والصَّبَايا بحَمَاسٍ إلى الرَّقص على أغنيةِ (عَسَل بشَهدو عَسَل). لوَّحَتْ إيميه بذراعَيها

عاليًا مُنتَشيَةً، وهي تُرَدِّدُ كلِماتِ الأغنيَة معَ مايز البيَّاع. وجذبَتْ غيث من يَدِه فقامَ معها. ثمَّ فجأةً! شعرَ غيث بشَبَحٍ يَترنَّحُ ويَقتربُ منهُما. فشَخصَ إليهِ.. فإذا هو يتمايلُ حاملاً كأسَه ويرسِلُ نظراتٍ وابتساماتٍ.. ثمَّ كلماتٍ لم يفهَمْها لا هو ولا إيميه. ولكنَّ المَكتوبَ يُقرَأُ من عنوانِهِ. فقرَّبَ غيث فمَهُ من إيميه وقال لها بصَوتٍ عالٍ لتَسمَع:

– هذا سَكران! إنَّه يعبَثُ معَكِ.

– لا بالعكس.. إنَّه لطيف! قالت بغُنج.

– هل تعرفينَه؟

– ألا تعرفُ فِراس ابنَ الوَزير؟! سألَتْه في شِبهِ تَحَدٍّ.

– إبن الوَزير!! قالَ مُستَغربًا.

ثمَّ قَرَّبَتْ فمَها كثيرًا من أذنِهِ وقالت متباهيةً:

– وهو أحدُ الواقفينَ في الطَّابور الذي أخبَرْتُكَ عنه.

ثمَّ نَظرَتْ في ماءِ عَيْنَيْه تراقِبُ نَسَماتِ كلِماتِها فيهِما. قالَ لها:

– لقد شَربْتِ كثيرًا يا إيميه...

ثمَّ قطَعَ كلامَه صَوْتُ ابنِ الوَزير على بُعدِ خطواتٍ يُوَجِّهُ الكلامَ إلى إيميه، وهي الشَّقراءُ ذاتُ العَيْنَيْنِ العَسَليَّتَين:

– دَخيل العَسَل والصَّوت العَسَل أنا.. والشَّعْر العَسَل.. وعْيون العَسَل الحلوين!

فخَرَجَ غيث عن طورِهِ! وانهالَ على فراس بلكماتِهِ الهِستيريَّةِ ورَماهُ أرضًا.. وارتمى عليه يَضربُه. صرَخَت إيميه. واندَفعَ الشّبابُ يردَعونَ غيث عن جُنونِه.. ثمَّ تألّبَ الجَميع عليهِما. أوقفَ مايز البيَّاع موسيقاه، وقالَ رافعًا صَوتَه على الميكرو:

– يبدو هناكَ مَشكَل.. أرجو من شَبابِ الأمن أن يَحضروا بسُرعة.

فأمسكَ غيث إيميه بيَدِها واعتذرَ من رُفَقائِهِ وَخرَجا بسُرعَة. ورجالُ الأمن دَفعوا بفِراس خارجًا، وخرَجَ أصدقاؤُهُ أيضًا معه وهدَّأوه، فيما راحَ يُعالِجُ نزيفَ فمِهِ بالكلينكس قربَ سَيَّارتِه في الباركينغ. ثمَّ انتبَهَ لطَيفِ فتاةٍ هيفاءَ سَمراء.. دَنَتْ منهُ بسُرعةٍ.. ووَضعَتْ وَرَقةً في يَدِهِ وهمَسَتْ في أذُنِهِ:

– أنا سابين سماحة.. وهذا رَقمي وعُنواني إذا كنتَ تريدُ الانتقام.

نَظرَ فِراس إليها لثوانٍ.. ثمَّ مَدَّ يدَه وأخذَ الوَرَقة منها ووَضَعَها في جَيْبِهِ. ولكنّه لم يتَّصلْ بها إلاّ بعد أيَّام، مُستَوضِحًا عن طبيعةِ المُساعدَةِ التي عرَضَتْها عليه.

وأمّا حِكايةُ سابين سماحَه معَ غيث الرَّاسي فلَها تاريخٌ على حَدَةٍ هي الأخرَى. وقدِ استَشْعَرَتْها إيميه بحَدْسِ المَرأةِ الذي لا يُخطئُ.. واستنكَرَها غيث بالكامل. ومُختصَرُ مُفيدِ الحِكايَة أنَّ سابين، وهي ذاتُ عَقليَّةٍ وأسلوبٍ مُنفتِح، تُحِبُّ غيث وتستَخدِمُ جسَدَها حتى الجنس، وبطريقةٍ ماكرَةٍ، للايقاعِ بهِ عَريسًا عَتيدًا. وغيث لم يَعِنَّ لهُ الزَّواجُ من غيرِ إيميه. ولُعبةُ سابين فيها الكثيرُ منَ المُغامرَةِ والكثيرُ منَ الخَسَائِر.. مع احتِماليَّةٍ وافرَةٍ أنَّ ناتِجَ الاستِثمارِ في غيث مَعدومٌ. رهانٌ وخُطورَة بامتياز! ولكنَّهُ الحُبّ.. وسابين أيضًا إحدى وَيلاتِه. سابين تثِقُ بجاذبيَّةِ مَظهرِها، وتتقاطعُ معَ غَيث عندَ المِزَاجِ الواحِدِ والهوايَةِ الواحِدة. بيدَ أنَّ غيث تَوليفٌ منَ الطُّمُوحاتِ الجَّامِحَة. الكرَةُ الطّائِرَةُ تسلية لشبابِهِ البَرِمِ بتَعثُّرَاتِ الحَيَاة، والجنسُ يَقصدُ إليهِ ويَقطفُهُ من غصُونِهِ طازَجًا يانِعًا. وسابين كانت تعطي غيث تارَةً "نِصفَ" الجنس.. وطورًا "ثلاثةَ أرباعِهِ"، وتعرفُ كيفَ تترُكُه في حالةِ ذهولٍ إزاءَ سِحرَ لمَسَاتِها.. وإبداعاتِ شَفَتَيها.. وتَلصُّصَاتٍ إليهِ من عُيُونِ جَسَدِها اللاَّهِبِ بينَ الحينِ والآخر. وكلُّ تَضْحِياتِها هذِه كَرمى لعَيْنَي غيث.. ورُجُولةِ غَيث.. وَغَرامِ غَيث الموجِع! وأمَّا الشَابّ عبدو إن هو إلاَّ مُناوَرَةٌ أو قِناع تُحاولُهُ معَ فارسِ أحلامِها غيث من مثل (مبدأ العَصَا والجَزرَة)، أي رَمي القليل منَ الجنس معَ عَبَثٍ بمِيَاهِ الغَيْرَةِ بواسِطةِ قَصبَةِ عبدو. وأمّا بالنِّسبَةِ إلى غيث الرَّاسي فهو بإمكانِهِ أن يأخذَ منها ما يرُيد.. بيدَ أنَّ طريقتَها معهُ منَحَتْهُ المُتعةَ الأكبَر! فهي إيروتيكيَّة خبيثة وهذا يَستَهويهِ.. حتى بدأ يَجدُ كاملَ لذَّتِهِ بالتَّشَهِّي الفُضُوحِيّ.. وَراحَت

هذِه المُيُولُ تَتطوَّرُ عندَه معَ الزَّمَن إلى نزْعَةٍ تلَصُّصيَّةٍ لَجُوجَة. هناكَ عقَدٌ نفسيَّةٌ لا يَحمِلُها الإنسانُ معَهُ من طفولتِهِ المَحرومَةِ المُضطربَة، ولكنَّها اكتِشَافٌ اندِفاعيٌّ واعٍ أحيانًا يحدُثُ صدفة، أو هُرُوبٌ من شَبَعٍ ما وتُخمَةٍ إلى جُوعٍ طريفٍ مُبتَكَر. وسابين كانت عاملاً مُساعِدًا على وُلوجِ المُتَعِ غيرِ السَويَّة هذه عندَ غيث. لقد دَعَتهُ سابين ذاتَ يَوم إلى صُحبَتِها في شاليه لِصَديقتِها نَرمين على ذلكَ الشَّاطئِ الصَّخريِّ العَريض.. حيثُ تُشَكِّلُ الصُّخورُ لوحاتٍ عاموديَّةً وأفقيَّةً جَميلة. قالت له:

– سوفَ نذهبُ نحن قبلَ الظّهر.. وستوافينا إلى هناك صَديقتي نرمين معَ صَاحبِها عندَ الظّهيرَة.

وكانتْ هذه كِذبةً خَلاّقة! والغاية أن تبقى الوَضعِيَّةُ حَذِرَةً فلا يَنفَرِدانِ لكمائِنِ النَّزْوَةِ من جِهَةٍ، وتقدِرُ أن تُمَرِّرَ رسائِلَ فُضُوحيَّةً مُثيرَة من جهَةٍ أخرى. ولكنَّ سابين تجهلُ أنَّ هذا هو مُرادُهُ بالضَّبط! ثمَّ أمضيَا ساعاتِ ما قبلَ الظُّهر بينَ السِّبَاحَةِ والاستِلقاءِ على الصُّخُورِ المَلسَاء والثَّرثَرَةِ وشُرْبِ الغَازيَّات. وحوالي السَّاعةِ الواحدة ظُهرًا صَعِدا وسلَكا الدَّرْبَ التُّرابيَّةَ إلى شاليه صَديقتِها نَرمين ذاتِ سَقفِ إتِرنيت مَدهونٍ باللَّونِ الأحمَر، والغائِصَة بينَ الأعشابِ العاليةِ اليابسة والقصَبِ الأصفر. جلسَ غيث تحتَ النَّخيلِ المُظلِّلِ تيرَّاس الشّاليه، ومَدَّ سَاقَيْهِ العاريَتَيْن على الدّرابزون الخَشَبيّ، وشرَعَتْ هي تحَضِّرُ الطَّعام. سألَها:

– أين صَديقتُكِ؟ لقد تأخَّرَت.

– لا أدري يجبُ أن يصلا.. الغائبُ عذرُه معه.

ثمَّ قالت له في شبهِ سؤال:

– أريدُ أن آخذَ راحتي بالتَّصَرُّفِ هنا.. هل تَأذَنُ لي؟

– هذا المكانُ ليسَ لي.. إنَّه مُلكٌ لكِ الآن وأنا ضَيفٌ.

ودخلَتْ فأخذَتْ دوشًا ثمَّ ارتدَتْ غِلالةً قصيرةً شَفَّافة ذات لون فوشيا زهريٍّ فاتح، وبلا لباسٍ داخِليّ.. فبَدَتْ كأنَّها عاريَة! فكانَ انعِكاس بشَرَتِها السَّمرَاء على لون الفوشيا

الفاتح كونتراستًا جذَّابًا. فسَبَحت عينا غيث ما وَرَاءِ الغِلالة.. في بَحرٍ منَ الغُموضِ والأحاجي. غريبٌ أمْرُ الشَّهْوَة! لم يَقُلْ عُرْيُها شَيئًا له على الشَّاطِئ.. وأمَّا الغِلالةُ الشَفَّافةُ فهيَ التَّعويذةُ التي استَحْضَرَتِ التَّضَاريسَ المُلوَّنةَ من بلادِ دانكسيا العَجَائبيَّة. وراقَ له ما فَعَلتْهُ كثيرًا. سألَها وهي تطفُرُ جيئةً وذَهابًا لتُحَضِّرَ مائِدةً لعاشِقَين:

– أنتِ قويَّةٌ وجَريئَة.. لا تخافينَ البَتَّة.

– وممَّ الخَوف غيث؟

– مِنِّي أنا. قالَها والشَّهْوَةُ وَميضٌ ماكرٌ في عَيْنَيه.

– لماذا أخافُ منكَ؟ وهل أنتَ تأكلُ بَشَرًا؟ سألت باستفزاز.

فنَهَضَ من مكانِهِ وأخذَها بَينَ ذراعيهِ بعُنفٍ رُجُوليٍّ رومنسيّ، وقالَ:

– بل أنا آكلُ حَلوًى، وأحِبُّ الحَلوى كثِيرًا.

وكانتْ شَهوَةُ عَينَيهِ تنفُذُ إلى أعماقِ أنوثَتِها الهائِمَة به.

فأجَابتْهُ غيرَ مُرْتَبِكَة:

– كما تُريد.. بإمكاني أن أصنعَ الآنَ قالبَ حَلوًى طيِّبًا على ذَوقِك.

فأطبَقَ شَفَتَيهِ على شَفَتَيها في قبلةٍ مَحمومةٍ شَبِقَة.

وانتهَتِ القبلةُ أخيرًا. فدَفَعَتهُ بلُطفٍ عنها وعادَت أدراجَها إلى الدَّاخل. وثبَ وراءَها وأمسكَها بيَدِها ثانيةً وضَمَّها إلى صدرِهِ. قالت له بهُدُوء:

– لا تنسَ غيث.. قد تصلُ نَرمين وصاحبُها الآن!

– أنتِ كاذبَة سابين.. لن يأتيَ أحَدٌ. وأنا أحِبُّ ما تفعلين.

– وماذا أفعَلُ غيث؟ أجابت بتجاهُلِ العارف. لم يُجبْها عن سؤالِها، وقال:

– أنتِ امرأةٌ استثنائيَّة.. وأنا لسانُ حالي كما قال سَعيد عقل.

– ماذا قالَ سَعيد بلا عَقل هذا؟ لم أعْهَدْكَ مُستَشعِرًا.

– لا تقرُبي منِّي وَظَلِّي.. فِكرَةً لغَدِي جَميلة.

– ومن هي فكرتُكَ الجَميلة أيُّها المُستَشعِرُ العَظيم؟

– أنتِ. أنتِ هكذا أطيَب. وأنا أختلِفُ عن الرِّجالِ سواي.

قالَ هذا وتركَها وأدارَ ظَهْرَه.

– لم افهَمْ وَجهَ الاختلاف! قالت في شبهِ سؤال.

– أنا أكثرُ تماسُكًا وسيطرَة على نفسي منكِ على نفسِك. رؤيةُ جَسدِكِ الجميل هكذا تحتَ الغلالةِ الشَفَّافة، بالنِّسبَةِ إليّ، هو الذُّرْوَة.

– لم افهَمْ بَعد وَجهَ الاختلافِ بَينَك وبين سِواك.

أشعَلَ سيكارةً وَمَجَّ مَجَّةً وقال:

– الرِّجالُ سوايَ يطلبون الجنس.. وأمّا أنا فأعشَقُ عِطرَه. سوايَ يُريدُ المُلامسَة وأنا أريدُ أن أتأمَّلَ اللَّوحَةَ عن بُعد. سوايَ يريدُ عِناقَ ورقصَ الجَسَدَين وأنا أعشَقُ أصداءَ موسيقى الغَرَام البَعِيدَة.

– ذَكَّرْتَني بجَميل بُثَينَة أيّامَ البكالوريا. قالت مازحةً.

– لا.. لستُ عُذْريًّا. ولكنِّي مُختلف.

ثمَّ أمضَيا ما تبَقَّى منَ الوَقت تحتَ أوراقِ النَّخيلِ المُظلِّلَة يشربان القهوَةَ والجِعَة.. يَتَمازَحان ويَتَحادَثان في أمُورٍ شَتَّى. غيث نزلَ إلى الماء وسبَحَ لبَعض الوقت. ثمَّ غادرا الشَّاليه حوالي السَّاعةِ الخامسَةِ بعدَ الظّهر. والذي دارَ بينَهما في ذلِكَ اليَوم إن هو إلاّ عيِّنَةٌ بسيطة من مُحاولاتٍ فاشلةٍ لسابين سَماحَه لاحتواءِ شَخصيَّةٍ كشَخصيَّةِ غيث المارِدَةِ الطّامحَة إلى أبعَد بكثير من المَرْأةِ والجنس. إلاَّ انَّها تُحِبُّه! والحُبُّ القويّ لا يَرعَوي ولا ييأس.

لقد خرَجَتْ سابين وراءَ فراس ابنِ الوزير المُدَمَّى، جَريحَ الجَسَدِ والنَّفسِ معًا، في سَهرَةِ مايز البيَّاع الصَّاخبَة، لأنَّها وَجَدتْ في كرامَةِ عاطفتِهِ المُهَانة عَونًا، بل سِلاحًا فعَّالاً في مَعركَتِها، وأعطتهُ رقمَها وَعُنوانَها وهي لا تملكُ اقتِراحًا. ليسَ لديها خُطَّة.. ولكنَّه اندِفاعُ الغَيْرَةِ وحِراكُ الحُبِّ الخائب. ولأيّامٍ راحَت سابين تفكِّرُ في مَشروع قبلَ أن يَتَّصِلَ بها فِراس. لقد تقاطعَتْ مَصلَحتُها مع مصلحَتِهِ في قَدَرٍ عاثِرٍ تاعِس، والتَّعاونُ عندَ هذه النُّقطَة قد يُثمرُ، مَن يَدري؟ عن نتيجَةٍ تخدمُ غايةَ الطَّرَفين. ولم تُنَزِّلْ لها رَبَّةُ المَكرِ وَحْيًا مُقنِعًا، حتى اتَّصلَ بها فراس بعدَ عشَرَةِ أيَّام هاتِفيًّا:

– أنا فراس سابين.. لقد عَرَضْتِ عليَّ المُساعدَة في سَهرَةِ مايز البيّاع في الـ White fun club حَتمًا لم تَنسَي؟

– أهلاً سَيِّد فراس. قالت مُرَحِّبةً به.

– هل أفهمُ من مُبادَرَتِكِ أنَّ لدَينا هدَفًا مُشتركًا؟ سألَها واغلاً في صلبِ الموضوع مباشرَةً.

– بلى.. وعدوًّا مشترَكًا أيضًا. أجابتْ هي.

– أنا لدَيَّ عَدُوّ.. وأمَّا أنتِ فعَدُوَّة.. أليسَ كذلِكَ سابين؟ سألَها وقد فهِمَ جيِّدًا خلفيَّةَ مُبادَرَتِها الجَريئَة.

– صَحيح.. وأنتَ قُلت.

– ماذا تقتَرِحين؟ سألَها أيضًا. وأجابَته مُرتَبكة:

– في الحَقيقةِ حتى الآن لا خُطَّة. ولكنَّ الكلامَ على الهاتفِ لا يُفيد. يَجبُ أن نلتقي.

وهكذا اتَّفقَت سابين مع ابنِ الوزير فراس على لقاءٍ فرَضَهُ تقاطُعُ المَسَارات وهندَسَتْهُ عَبَثيَّةُ التَّناقضاتِ في صراعٍ خائبٍ مُستحيل. سابين تجاهدُ لِلحصول على حَبيبِها وأيضًا فراس يحاربُ لكي يفوزَ بإيميه.. ولكنَّ الشَّيءَ الأكيدَ والحَتميّ الذي يَجهلُه الجميعُ أنَّهم جميعًا يُجاهدون.. وجَميعًا يُحاربون.. وجَميعَهم يطلبونَ السَّعادَة في

الحُبّ.. وفي نِهايةِ المَطاف تبقى العَثَرَاتُ في طريقِ الحُبِّ هي هيَ! أكانت منَ البشَر أم منَ القدَر. هذا والحُبُّ ليسَ البوّابةَ الوَحيدَةَ إلى السَّعادة! وليسَتْ جَنائنُ الحُبِّ السَّعيدِ كلُّها وَردًا وياسَمينًا. فالحُبُّ تَوْليفَةٌ غامضَةٌ منَ البَوْحِ والانسِجامِ والخُصُوماتِ والنِّكايات والشَّوْقِ والدُّمُوعِ والغَيْرَةِ والانفِصَالات والمُصالَحات. سابين خائِبَة، وفراس فاشِل.. وهكذا أيضًا إيميه وغيث سوفَ يَعيَى حبُّهُما وَينهارُ إزاءَ التَّحَدِّياتِ المتعاقبَة.. وسوفَ يُفضِي إلى المأساة. والبناءُ لا يقومُ على عمودٍ واحدٍ بل على عَمودَين اثنَينِ متآزرَين. وفي حَلَقةِ هذا الرُّباعيِّ المُتنافِسِ، الذي يُشبهُ تمامًا الكروموزوماتِ المُتَعاركة في الخَليَّةِ الحَيَّةِ الواحِدَة، الرّابحُ لا تدومُ فرحَتُه، والخاسرُ لا يَدومُ حُزْنُه. والأوقاتُ السَّعيدَةُ في الحَيَاةِ أخطاءُ تصادُفاتٍ عَبَثيَّةٍ مارقة، والألمُ هو السِّمَةُ الأساسيَّة للوجود لأنَّهُ كتلةُ تَناحُرَات. والسَّعادَةُ هي القُدْرَةُ على تلوينِ التَّجَاربِ والآلام بالتَّفاؤلِ واستِحضَارِ الحُلُم. وبكلِمَة.. إنَّ الحُبَّ لا يتعايَشُ معَ المكر، ولا يُساكِنُ الخَديعَة.. لأنَّه رُوْحٌ مقدَّسَة. وعندَما يتحالفُ جُمْهورُ الحُبِّ معَ عَدُوِّ الحُبّ ينقلبُ الحُبُّ عدوًّا لدُودًا لجُمْهورِه.

وهكذا تصافَحَ عنفوانُ الثَّأرِ عندَ ابنِ الوَزير معَ غَيْرَةِ سابين المُرَّة على تصفيَةِ حُبِّ غيث وإيميه بأيِّ طريقة.. ومهما كانت شرِّيرةً مدَمِّرَة! شرطَ أن يَكونَ التَّنفيذُ ماكِرًا لدرجةٍ يَبدو كأنَّهُ من صُنعِ المَقدور ولا دَخلَ ليَدِ الإنسانِ فيه. ولكنَّ المَقدُورَ سوفَ يُساعدُهما.. وفي هذه المَرحَلةِ بالذّات.. بحَيثُ يُقصِي غيث فُصُولاً عن توالي الأحداثِ والمُستَجدَّات لفترَةٍ.. مِمّا أوجَبَ تأجيلَ المَشروعِ الشرِّيرِ لحِينِ ظهورِ غيث ثانيةً على خشبَةِ المَسرَحِ الدّرامِيِّ العَنيف.. مع حَبيبتِهِ إيميه، ولاحِقًا غريمَتِه.. وأيضًا شَريكتِهِ في بطولةِ مأساةِ ١٩ تشرين الأوّل ٢٠١٥.